﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ [إبراهيم: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإنعامُ بريِّ الثِّمار يعقبه الإنعام بإنضاجِها بضياء الشَّمس

بعد أن بيَّن النَّظم الجليل ما سخَّر الله تعالى لعباده في الأرض؛ أخذ يبيِّن ما سخَّر للإنسان من أجرام السَّماء[1]، ومن المناسبة أنَّ النَّظم لمّا ذكر نزول الماء من السَّماء، وتسخير ماء الأنهار؛ "أتبعه ما جعله سببًا لكمال التَّصرُّف وإنضاج الثِّمار المسقيَّة بالماء النّازل من السَّماء، والنّابع من الأرض فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دَآئِبَيۡنِۖ﴾: أصلُ (دأب): أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على مُلازَمَةٍ ودَوامٍ[3]. فالدَّأْبُ: العادة المستمرَّة دائمًا على حالةٍ، قال تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [آل عمران: 11]، أي: كعادتهم التي يستمرّون عليها[4]. وكُلُّ ما أدَمْتَه؛ فقَدْ أدْأبْتَه[5]. ودَأبَ الرَّجُلُ في عَمَلِه؛ إذا جَدَّ[6]. والدُّؤوبُ المبالَغةُ في السَّير، وأدأبَ الرّجُل الدّابَّة إدآبًا؛ إذا أتعبها[7]. والدّائِبانِ: اللَّيْلُ والنَّهارُ[8]، والمرادُ بالدُّؤوبِ في الآية: مُرورُ الشَّيءِ في العمَلِ على عادةٍ جاريةٍ فيه.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4032.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/420 - 421.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (دأب).
(4) الراغب، المفردات: (دأب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (دأب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دأب).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (دأب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دأب).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول الله تعالى: وذلَّلَ لكم الشَّمسَ والقمَرَ يَدأبانِ في سَيرِهما، فيتعاقَبانِ عليكم بلا انقطاعٍ؛ لتَحقيقِ مَصالِحِكم، كحِسابِ أزمِنَتِكم، وضَبطِ أوقاتِكم، ونفعِ أبدانِكم، وحيواناتِكم، وزُروعِكم، وثمارِكم، وغيرِ ذلك، وكذلك ذلَّل اللهُ تعالى لكم اللَّيلَ والنَّهارَ يتعاقبانِ عليكم؛ فجعل اللَّيلَ لِتَسكُنوا فيه؛ راحةً لأبدانِكم، وجعل النَّهارَ لِتَبتَغوا فيه مِن فَضلِه[1].

تـسـيـر أجـرام الـسَّـمـاء من غـيـر إبـطـاء في دأبٍ مستمرٍّ يَـعـلـمُ الـلـه تـعـالى سيرَها وناموسها

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة العطف في الآية:

الجملة في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ معطوفةٌ على الجملة الواقعة صلة في قوله جلَّ شأنه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[2]، فبعد أن ذكر السَّموات والأرض وإنزال الماء الذي أخرج الثِّمار؛ أتبع ذلك بما هو كائن في السَّماء، وينفع الأرض، وبه تكون الحياة، وهو تسخير الشَّمس والقمر، إذ لو لم يوجدْهما على هذا الحال؛ لكانت الحياة من المحال.

تـعـداد النِّـعـم لـبـيـان واجـب الشُّكر

غرض تقديم ﴿لَكُمُ﴾ على ﴿ٱلشَّمۡسَ﴾:

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة من الجارِّ والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ لما في التَّقديم من تخصيص للمخاطَب بهذه النِّعمة، فالتَّسخير إنَّما وقع لأجلكم، وهذا أدلُّ على الامتنان، وفي تأخير الشَّمس تشويق لها، وتفخيم لشأنها.

بـيـان المـقـصـود بـالـتَّـسـخـير مبالغة في المنَّة وما يلزمها من شكر النِّعمة

سرُّ التّقييد بالاستمرار في: ﴿دَآئِبَيۡنِۖ﴾:

قيَّد النَّظم الجليل تسخير الشَّمس والقمر بكونهما دائبين في

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/682، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/367، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 426.

(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/194.

الإنعام بدوام الشَّمس والقمر على السُّنن الموضوع لهما

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾ لبيان حالهما، أي: إنَّ التَّسخير لهما كان بهذه الحالة، وهي أنَّهما دائبان في الحركة والسَّير والإنارة، فهما يسيران في دأب مستمرٍّ بلا توانٍ، وما ينشأ عنهما من صلاح الحياة[1]، ودأبهما أنَّهما مستمرّان على "حالات لا تختلف؛ إذ لو اختلفت لم يستطع البشر ضبطها، فوقعوا في حيرة وشكّ"[2]، فالقيد بهذا الحال من حسن البلاغة؛ لأنَّ وجه النِّعمة بهما ليس بمطلق إيجادهما؛ بل بكونهما مستمرَّين على ما وجدا له، وهو إنشاء اللَّيل والنَّهار، فالدَّأب هو وجه النِّعمة بهما، وما وقع بهما من خير للنّاس؛ فهو تبع لهذا لكونهما مستمرَّين على ذلك.

دلالة عطف ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾:

اللَّيل والنَّهار كاشفان لوجه النِّعمة بالشَّمس والقمر

الجملة في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ معطوفة على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾[3]؛ لأنَّ تسخير اللَّيل والنَّهار تابعان للشَّمس والقمر فذكر تعالى "ما ينشأ عن وجود الشَّمس وعدمها، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾، أي: الّذي القمر آيته ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾، أي: الّذي الشمس آيته، يوجد كلٌّ منهما بعد تصرُّمه، ولو كان أحدهما سرمدًا؛ لاختلَّ الحال بعدم النَّبات والحيوان"[4]، فالإنعام بمجرَّد الشَّمس لا يكفي أن تكون حياة، فلا بدَّ أن يتنوَّع جوُّ الأرض باللَّيل والنَّهار لتكون حياة وتدوم.

غرض تقديم ﴿لَكُمُ﴾ على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾:

تخصيص المخاطَب بذكر النّعمة يوجب عليه شكرها

قدَّم النَّظم الجليل شبه الجملة على المفعول به في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ لأنَّ المقصود من تسخير اللَّيل والنَّهار هو الإنسان، فقدَّم ذكر المخاطَبين الّذين وقع التَّسخير لهم على ذكر

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/421، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4033.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/236.
(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/194.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 10/421.

المسخَّر لما في ذلك من بيان الاختصاص بالتَّسخير، والمبالغة في الامتنان، وفي تأخير المسخَّر تشويق وتفخيم له.

نكتة التّرتيب في: ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾:

تقديم الأسبق في الـخـلـق مناسب في سياق ذكر المخلوقات

قدَّم النَّظم الجليل ذكر اللَّيل على ذكر النَّهار في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ لأنَّ خلْقَ اللَّيلِ سابق على خلق النَّهار وإيجاده، كما في قولِهِ جلَّ شأنه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: 1]، فرتَّبهما حسب وجودهما في الخلق.

نكتة جمع الأضداد:

حَـشْـدُ الـنِّـعـم المتكوِّنة من تلك المخلوقات تنبيهٌ على كثرتها

جمع النَّظم الجليل بين المتقابلات في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ فجمع بين الشَّمس والقمر، وجمع بين اللَّيل والنَّهار؛ لأنَّ هذه المذكورات بها يكون الإنعام بحركة اللَّيل والنَّهار والمدِّ والجزْرِ والدِّفء والبرد، فلولا وجودها مجتمعة؛ لما كانت تلك النِّعم موجودة، فجمْعُها تنبيهٌ على كلِّ النِّعَمِ التي تكون بسببها.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»